



لم يعد خافياً على كل ذي لب وعقل وضمير حي ما نزل بأهلنا وإخوتنا في الشام من بلاء شديد وقتل ودمار وإبادة تعجز الكلمات عن تصويرها.. الأمر الذي يتطلب النجدة وحشد الطاقات لتلافي الآثار الخطيرة التي قد تتجه عن ذلك.

وهاكم ما ذكره ابن كثير - رحمة الله - في البداية والنهاية: "أن عمر عس المدينة ذات ليلة في عام الرماده فلم يجد أحداً يضحك، ولا يتحدث الناس في منازلهم على العادة، ولم يجد سائلاً يسأل، فسأل عن سبب ذلك، فقيل له: يا أمير المؤمنين، إن السؤال سألاه فلم يعطوا فقطعوا السؤال، والناس في هم وضيق، فهم لا يتحدثون ولا يضحكون. فكتب عمر إلى أبي موسى بالبصرة: أن يا غوثاً لأمة محمد. وكتب إلى عمرو بن العاص بمصر: أن يا غوثاً لأمة محمد. فبعث إليه كل واحد منهما بقافلة عظيمة تحمل البر وسائر الأطعمة. وهذا الأثر جيد الإسناد".

مجاعة أصابت الناس أرقت نفس عمر الزكية فاستنفر الأقاليم المجاورة، فلم يقر له قرار حتى أزال آثار المجاعة، وطلب الغوث حتى أشبع الناس.

والقرآن الكريم يقصصه وعبره يشحذ العزائم، وينبه للخطر الداهم، ويستحث النفوس ويستنفرها لتلافي الخطوب المحدقة.. يقول الفقيه المحدث العابد الوزير العباسى الصالح ابن هبيرة الدورى في قوله - تعالى - : {وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى..}: "تأملت ذكر أقصى المدينة، فإذا الرجال جاءوا من بُعد في الأمر بالمعروف، ولم يتقاعوا بعد الطريق". وأقصى المدينة جاء في قصة موسى - عليه السلام - عندما تأمر عليه الملاً ليفتلوه، وفي خبر مؤمن آل ياسين عندما أجمع أصحاب القرية على رجم المرسلين أو إذاقتهم العذاب الأليم.

إن نفساً ترضي الإسلام ديناً *** ثم ترضى بعده أن تستكينا
أو ترى الإسلام في أرض مهيناً *** ثم تهوى العيش نفس لن تكوننا

في عداد المسلمين العظاماء:

لما تولى نور الدين زنكي الخلافة رئي متجمهاً، وأراد العلماء والفقهاء التخفيض عنه لما يعلمون من صلاحه وقواده، حتى جعل المفتى في الجامع الأموي بدمشق خطبته عن التبسم بعد أسبوع من تجهمه وتوليه السلطة، وظل نور الدين زنكي متجمهاً. فسأله العلماء بعد صلاة الجمعة وقد اجتمعوا به عن سبب تجهمه؛ فقال لهم: "والله إني لاستحيي من الله أن يراني مبتسماً وفي ديار الإسلام قدم لكافر.. أتريدين أن أبتسم والقدس بيد النصارى؟ أتريدين أن أسرّ والمسجد الأقصى بيد النصارى؟.. لا والله!!"

هؤلاء هم الرجال العظام الذين كانوا لهم بصمات واضحة مؤثرة في حركة التاريخ، وهم الذين يستحقون رحمة الله.. {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلَيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطْبِعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبه: 71]. هم الذين يعين بعضهم بعضاً، ويؤالي بعضهم بعضاً خصوصاً في أيام الشدائـ والمحن.. روى البخاري.. قال إبراهيم - عليه السلام - : يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر. قال: فاصنع ما أمر ربك، قال: وتعيني؟ قال: وأعينك؟ لا كال الخليفة العباسي الناصر لدين الله - الذي ورد ذكره في كتاب النجوم الظاهرة في ملوك مصر والقاهرة - لما دخلت التتار البلاد وملكوـ ما وراء النهر إلى العراق، وقتـوا تلك المقتـة من المسلمين، التي ما نـبـ المسلمين بأعـظـ منها، دـخـلـ الوزـيرـ عـلـىـ الخليـفةـ النـاـصـرـ لـدـيـنـ اللهـ فـقـالـ لـهـ: آهـ ياـ مـوـلـانـاـ؛ إـنـ التـتـارـ قدـ مـلـكـ الـبـلـادـ وـقـتـلـ الـمـسـلـمـيـنـ!ـ فـقـالـ لـهـ النـاـصـرـ لـدـيـنـ اللهـ: دـعـنـيـ أـنـاـ فـيـ شـيـءـ أـهـمـ مـنـ ذـلـكـ!ـ طـيرـتـيـ الـبـلـقـاءـ لـيـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ ماـ رـأـيـهـ".

لا بأس عند هذا الخليفة بـلـيدـ الإـحـسـاسـ وـالـشـعـورـ أـنـ تـبـادـ الـأـمـةـ، وـتـزـوـلـ الـخـلـافـةـ، وـتـصـبـحـ الـأـمـةـ رـهـيـنـةـ بـيدـ أـعـدـائـهـ، منـ أـجـلـ شـهـوـةـ بـارـدـةـ.

أـمـةـ الـعـرـبـ أـمـةـ الـمـجـدـ مـاـ دـهـ *** كـ وـأـيـنـ هـُمـ ذـوـ الـنـفـوـسـ الـأـبـيـةـ
أـيـنـ أـحـفـادـ خـالـدـ وـصـلـاحـ *** أـيـنـ أـتـيـاعـ سـادـةـ الـعـبـرـيـةـ؟ـ
أـمـةـ الـعـرـبـ هـبـيـ وـاسـتـعـيـدـيـ *** ذـرـوـةـ الـخـيـرـ وـالـحـيـاـةـ الـرـضـيـةـ
لـاـ يـرـدـ الـحـقـوـقـ إـلـاـ رـجـالـ *** وـكـتـابـ يـعـزـزـ الـبـنـدـقـيـةـ

وـمـنـ أـجـلـ خـدـمـةـ الـأـمـةـ نـوـعـ رـسـوـلـ اللـهـ - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - طـرـقـ الـخـيـرـ الـمـعـيـنـةـ عـلـىـ إـعـانـةـ كـلـ ضـعـيـفـ لـيـقـوـمـ كـلـ فـرـدـ بـمـاـ يـسـتـطـيـعـ مـنـ جـهـدـ..ـ رـوـىـ التـرـمـذـيـ عـنـ أـبـيـ ذـرـ - رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ - قـالـ: قـالـ رـسـوـلـ اللـهـ - صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ - : ((بـسـمـكـ فـيـ وـجـهـ أـخـيـكـ لـكـ صـدـقـةـ، وـأـمـرـكـ بـالـمـعـرـوفـ وـتـهـيـكـ عـنـ الـمـنـكـرـ صـدـقـةـ، وـإـرـشـادـكـ الرـجـلـ فـيـ أـرـضـ الـضـلـالـ لـكـ صـدـقـةـ، وـبـصـرـكـ لـلـرـجـلـ الرـدـيـءـ الـبـصـرـ لـكـ صـدـقـةـ، وـإـمـاـطـكـ الـحـجـرـ وـالـشـوـكـةـ وـالـعـظـمـ عـنـ الـطـرـيـقـ لـكـ صـدـقـةـ، وـإـفـرـاغـكـ مـنـ دـلـوكـ فـيـ دـلـوـ أـخـيـكـ لـكـ صـدـقـةـ)).ـ قـالـ التـرـمـذـيـ: حـسـنـ غـرـيـبـ، وـقـالـ الـأـرـنـوـطـ وـالـأـلـبـانـيـ: صـحـيـحـ.

وـاسـتـلـهـمـ الشـيـخـ الشـعـراـوـيـ - رـحـمـهـ اللـهـ - مـنـ قـبـسـ النـبـوـةـ فـفـاضـ فـؤـادـهـ وـبـيـانـهـ بـهـذـهـ الـأـبـيـاتـ الـشـعـرـيـةـ الـمـعـبـرـةـ عـنـ إـحـسـاسـ الـمـؤـمـنـ، فـقـالـ أـبـيـاتـ يـسـتـهـضـ الـعـزـمـاتـ لـنـجـدـةـ الـبـوـسـنـةـ، وـاسـتـقـاـذـهـاـ مـنـ مـخـالـبـ الـصـرـبـ:

الـيـوـمـ يـوـمـ الـزـحـفـ لـاـ تـتـقـاعـسـوـ *** وـلـكـ فـرـدـ فـيـ الـمـواـهـبـ مـغـنـمـ
مـنـ صـاحـبـ الرـأـيـ الـحـكـمـ مـشـوـرـةـ *** وـمـنـ الشـجـاعـ حـمـيـةـ تـتـقـدـمـ
وـمـنـ الـغـنـيـ سـمـاـحـهـ وـنـوـالـهـ *** وـمـنـ الـقـوـوـلـ مـقـالـةـ تـتـقـدـمـ
حـتـىـ الـضـعـيـفـ جـهـادـهـ دـمـعـ جـرـىـ *** حـزـنـاـ عـلـىـ أـنـ لـاـ يـجـدـ مـاـ يـسـهـمـ
وـالـحـاـكـمـونـ عـلـيـهـمـ تـعـضـيـدـنـاـ *** بـحـمـيـةـ تـشـرـيـ الـجـهـادـ وـتـبـرـمـ

فـيـ أـيـتهاـ الـأـمـةـ الـإـسـلـامـيـةـ..ـ يـاـ أـصـحـابـ الـنـجـدـةـ وـالـكـرـامـةـ..ـ يـاـ أـحـرـارـ الـعـالـمـ..ـ يـاـ أـصـحـابـ الـضـمـائـرـ الـحـيـةـ..ـ يـاـ غـوـثـاـ لـأـمـةـ مـحـمـدـ فـيـ بـلـادـ الشـامـ الـمـبـارـكـةـ.

المصدر: رابطة العلماء السوريين

المصادر: